

سلسلة لقاءات

التقوية

أ. أناهيد السميري

ألقيت في شوال ١٤٣١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

[/!#/http://tafaregdروس.blogspot.com](http://tafaregdروس.blogspot.com/)

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)
- [/http://www.muslimat.net](http://www.muslimat.net)
- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..
- والله الموفق لما يحب ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم.

لازلنا بفضل الله وبنعمته نتناقش حول مسألة التقوى، وقد مرَّ معنا في اللقاءات الماضية الكلام حول تعريفها وأركانها، وأهم شيء في الأمر: ما أركانها من أجل أن تصل إليها؟

١. العلم.

٢. المحبة التي فيها الخوف والرجاء.

٣. العمل أو الترك.

على ذلك تقول تعريف طلق بن حبيب للتقوى: "أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله"، لا بد أن تأتي بهذه الثلاثة، تعمل وسبب عملك أن عندك نور وليس مجرد تقليد، وتريد ثواب الله.

والشق الثاني: "ترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله".

مرَّ معنا أيضاً فوائد التقوى، فصَّلناها عملياً، فالتقوى هي تلك الحال التي تصيب الإنسان في قلبه عند مصارعة أمرين قد يكونوا متضادين، أحدهما تبع لهواه وقناعاته وتفكيره والآخر تبع للنص، ناتج التقوى أن تعمل، ناتج التقوى أن تترك الناتج، أن تعمل أو تترك، لكن نفس التقوى عمل، عملية المجاهدة.

المجاهدة في لحظة تكون التفكير، لا بد تعرض عليك المواقف، وحتى تفهم التقوى افهم الحديث ((تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ

كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا))^١ شخص محصور، أي محبوس، والعرب لما كانت تحبس من تراه مجرمًا كانت تحفر له حفرة في الأرض ثم تضع حول هذه الحفرة على سطح الأرض مثل الأخشاب أو العيدان، بحيث لو أراد أن يتسلق تمنعه هذه العيدان من الهروب، فيصبح هو في وسط الحفرة وفي نفس الوقت محصور. فالفتن تعرض على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً، كعرضها على شخص محصور، عودا عودا؛ لأنهم بعد ما يدخلونه يضعونه عودا عودا.

((فَإِيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا)) أي: استقبلها.

ما علاقة ((أشْرِبَهَا)) بالتقوى؟ عندنا قلبين :

((فَإِيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نَكَتَ فِيهِ نَكَّةٌ سَوْدَاءٌ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نَكَتَ فِيهِ نَكَّةٌ بَيْضَاءٌ))

(١) إما الإشراب، بمعنى الاستقبال.

(٢) وإما الإنكار.

^١ رواه مسلم في صحيحه.

أين موطن المجاهدة في هاتين الكلمتين؟ في الاثنين يوجد مجاهدة، القلب لما يَشْرَب المنكر، يستقبل المنكر، ليس معناه لا يوجد مجاهدة، ممكن يكون فيه مجاهدة لكن ضعيفة أو مجاهدة انتهت بغلبة الشهوة والقناعة المخالفة للشريعة، انتهت بغلبة هذا النص فكانت النتيجة أن القلب استقبل المنكر وقبله.

((وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا)) هنا الهوى، القناعات، التربية وآثارها، والجهة الثانية النص، الأمر الشرعي، القلب الذي أنكرها في عملية الجهاد انتصر النص فأنكر وطرد المنكر، معناها أن التقوى تأتي بعد عرض الفتن عليك، والفتن إما تحصرك وإما تُفك أسر نفسك بالتقوى، أنت تفك أسر نفسك لما تكون متقي؛ لأن قبورك للمنكر معناه يزيد حصرك. كأنك تتصور الحياة هذه الحفرة، وكأنك تتصور الفتن بمثابة هذه العيدان، الخشب الذي يحصر الخارج منها، إذا اتقيت، فهذه الأخشاب أو الأعواد لن تكون موجودة، إذا لم تتقِ حصرتك، كالحصير، أي كالذي حُبس، المنفذ هو التقوى.

ما التقوى؟

المعلومة الجديدة التي فهمناها أن التقوى لا بد أن تأتي بعد عرض فتنه، الفتن تعرض عليك كم مرة في السنة؟ أو كم مرة في الشهر؟ أو كم مرة في اليوم؟ أو كم مرة في الساعة؟! بصورة لا تتخيلها، بصورة لا نستطيع إدراكها إلا من كان عنده قلب سليم.

المقصود أن الإنسان طوال الوقت هو يُختبر، واختباراته إما يعاملها بالتقوى فينجو، أو يعاملها بالهوى فيزيد على نفسه الحصر.

دخلت علينا عوامل كثيرة في التقوى :-

١. أمر المجاهدة تحتاج إلى عناية ودراسة وتدقيق، ما هو الجهاد.
 ٢. الفتن، لا بد أن تحررها جيداً، ماذا تتصور معناه؟ الفتنة محصورة عندنا بالمال والأزواج والأبناء، هذه رؤوسها لكن وراءها تفصيل طويل، أحتاج أفهم ما هي الفتنة وما هي المجاهدة.
 ٣. العامل الثالث: ما هو العلم؟ كيف يكون العمل حقيقة على طاعة الله؟ ثم ما هو الخوف والحب والرجاء المفروض يكون في القلب؟ كل هذه مباحث نحتاج أن نحررها ونفهمها بدقة لتنجح عملية المجاهدة.
- بعد هذه المفاهيم التي تتصل بأصل كلمة التقوى، يأتي الكلام حول الفوائد من التقوى على الإنسان في الدنيا، مرت معنا ١١ فائدة..

الفائدة الثانية عشر: سبب قوي تمنع صاحبها من الزيغ والضلال بعد أن من الله عليه بالهداية

وأخر سورة الأنعام بعدما ذكرت أوامر، ثم يشير سبحانه وتعالى لهذه الأوامر بأنها الصراط المستقيم. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾.

اسم الإشارة إلى ما سبق من الأوامر، ما هو المطلوب منك؟ ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

هذا الذي وصيتم به ما نتيجهته؟ ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^١.

انظر الفائدة وانظر الآية .. كيف فهمنا هذا الفهم؟

التقوى سبب قوي تمنع صاحبها من الزيغ والضلال، والآية تبين أنك لو اتبعت الصراط المستقيم ستصبح متقياً، الآية فيها إخبار أن هذا صراط مستقيم، إذا اتبعته ستكون النتيجة أنك متقي.

الفائدة تكاد تكون عكسية، يقال لك: إذا كنت متقياً ستمنع من الزيغ بعد أن مَنَّ الله عز وجل عليك بالتقوى والهداية الآية تدل على أن العبد إذا قام بهذه الأعمال سيكتسب وصف التقوى. كيف أتينا بها من الآية؟

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ هذا الفعل لو فعلتموه ستكونون من المتقين.

نتصور المسألة فعلياً، شخص ائتمر بالأوامر، أصبح وصفه متقياً، لما يصبح وصف الشخص متقي، هذا وصف التقوى مبني على قيامك الأعمال وتمسكك بالصراط، لن يكون وصفك متقي إلا إذا تمسكت بالأوامر؛ فمن فوائد التقوى، من فوائد بقاء هذا الاسم عليك أن تكون بسببه متمسكاً بالأوامر، العملية متضادة في نفس الوقت: إذا كنت متمسكاً بالأوامر كان اسمك متقي، وإذا كنت متقي سيكون أثره عليك أن تجعلك متمسكاً بالأوامر.

نقطة البداية كما في الدليل، أن تلزم الصراط المستقيم، بعدما تلزمه فأكيد أن هناك عمليات كثيرة في المجاهدة حصلت معك، إذا استقمتم عليه وحصلت المجاهدات ودفعت، إذن هذا الفعل تقوى، لو تمسكت بالطريق أصبح اسمك متقي، لو لزمتم هذه التقوى بمعنى تمسكك بالطريق، أكيد أنك لن تزيغ، أصبحت التقوى إذا بقيت لازماً لها منعتك من الزيغ.

○ متى تكون متقياً؟

إذا مشيت الصراط المستقيم وقمت بعملية المجاهدة واتبعت الصراط وتركت متابعة كل السبل، يصبح اسمك متقي، لما يصبح اسمك متقي، من فائدته أن تبقى محافظاً على التقوى، ما هي هذه التقوى؟ أن تبقى على الصراط المستقيم. فإذا من فوائد القوى أنها ذاك الأمر الذي تقوم به من أجل أن تمسك الصراط المستقيم وتستمر عليه، هو هذا الفعل الذي يسبب لك أن تبقى على الصراط المستقيم، وهو اسمك ووصفك لو التزمت الصراط المستقيم.

استفدنا مفهومين من الآية :-

المفهوم الأول: متى تصل للتقوى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؟ إذا التزمت بالصراط المستقيم.

أكيد ستري الصراط المستقيم، لكن كونك تسير عليه وتلتزم به وتمسك به هذا أمر ليس يسيراً، تحتاج إلى مجاهدات، لما تخرج النتيجة أنك استقمتم على الصراط المستقيم أصبحت تقياً، حتى تحافظ على اسم التقوى لا بد أن تبقى مجاهداً، إذن التقوى تسبب لك التمسك على الصراط المستقيم ومن التقوى سميت تقياً، الجهاد للبقاء على الصراط المستقيم تقوى، وبذل الجهد في بقاء هذا الوصف لك فائدة لك وهو من فوائد التقوى.

هذا مفهوم مهم جداً؛ أننا سنبلغ التقوى عن طريق التزام الصراط المستقيم، لاحظ اسم الإشارة (هذا) يجعلك تعود للآيات، لو أردنا مناقش التقوى المفترض نرجع للآيات ونرى كل الأعمال التي اسمها الصراط المستقيم ونرى كيف تكون الأعمال، ثم نفهم أن نتيجة استقامتنا على هذه الأعمال تسبب لك التقوى، ثم لما تقع التقوى في القلب يبذل الإنسان جهده أن لا يترك هذا الطريق، لما تكون متقي يكون أثره أنك تتمسك بالطريق.

مثاله المكرر: في الصيام، أثره ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لو كان الإنسان في الصيام يسير كما يجب الله ويرضى طوال الشهر، سيكون متقياً، المفروض النتيجة التي يخرج بها من رمضان أن يبقى صيامه واسمه التقى سبباً لمنعه من الزيف بعد رمضان.

لكن أين الإشكال؟ في الصيام ما كان هناك تقوى كما ينبغي، ولذلك لم نكسب أننا بفعلنا هذا نكون من المتقين، فإذا لم يتحقق هذا الوصف هناك أكيد أن الثمرات والنتائج أنك لن تمنع من الزيف بعد ذلك.

من آثار التقوى أن تُمنع بعدها من الزيف وتُحفظ منه، لكن الإشكال في نفس الفعل الأول ما كان موجوداً، كان يوجد ضعف في المجاهدة فما أخذت الوصف فما كان هذا الأثر عليك، شهر رمضان مثال واضح على هذه المسألة، لو كنت فيه متقياً - وهذه الكلمة فيها عموم الاستقامة - الأثر أنك تخرج ممنوعاً من الزيف على حسب درجة تقواك، والمسألة درجات.

الموسم القادم الذي نحن في استقباله أحد المواسم العظيمة التي لا بد أن يكون لها علاقة قوية في قلبك بالتقوى، خصوصاً وأن أول سورة الحج ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾^١، هذا يجعلك تفهم أن موسم الحج القادم خطابه في التقوى أظهر، وهذا يشترك فيه الحاج وغير الحاج؛ لأننا لو تأملنا سورة الحج سنرى عجباً في الكلام حول التوحيد وحول هذا العمل المهم وهو الهجرة بالقلب إلى الله، فلهجرة بالقلب إلى الله يفعله الحاج قلباً وبدناً، ويفعله غير الحاج بقلبه.

إذن التقوى سبب يمنع صاحبها من الزيف والضلال بعد أن من الله عليه بالهداية، نريد أن نفهم ما معنى الزيف الذي يُمنع منه الإنسان؟

ذكرنا من فوائد التقوى أن يصبح معك نور وفرقان، النور والفرقان ينفعانك متى؟ لما تكون هناك ظلمة، والفرقان لما تكثر عليك السبل، فأنت في حياتك تمر بمواقف لا تعرف أين الصواب، كيف أفكر صحيح في هذا الموقف، برغم وجود العلم والذكاء لكن تأتي في الموقف تقول ما الصواب! أتصرف هذا التصرف أو هذا؟ قد تظن وتثق في أحد ليس بثقة! أو قد تقول كل هؤلاء يكذبون إلا هذا الشخص، أو لا يمكن أن يكون كل هؤلاء على خطأ وأنا صواب.. على شتى أصعدة القرار سواء في عملك أو دينك؛ لأن كثير ممن اتبع الطرق المخالفة التي لا يقبلها عقل مجرد، ما سبب اتباعه؟ هذا فيه نوع هوى لكن الهوى في اتباع الفرق قليل، أكثرها الضلال! يعني نسي حظاً مما ذُكر به.

الناس نوعين في خطئهم:

- إما بغي، حسد، هوى، شهوة، كبر؛ لذلك يفترق عن الصراط المستقيم والسنة.

- أو نسيان حظاً مما ذكر الإنسان به.

فأنت ترى الناس يفعلون أفعالاً في كثير من دول العالم الإسلامي، وهذا لا يعني أن هذه البلد المباركة خالية منه، يفعلون أفعالاً لا يقبلها العقل المجرد، لكن ما الذي أضلهم؟ أضلهم أن ما كان معهم تقوى يجعلهم يفرقون بين الحق والباطل، معناها قرارك على جميع الأصعدة يتأثر بمقدار تقواك حتى في علاقتك بالناس وبيعك وشراكتك وقراراتك، كونك تقرب أو تبعد عن أحد، كل هذا يتأثر بتقواك، التقوى من آثارها أنها نور وفرقان.

لما أقول لك أن التقوى تمنعك من الزيف أي وحده من هذه؟ النور أو الفرقان؟ الفرقان، لأن الإنسان يأتي في مواقف كثيرة كأنه في مفترق طريق، أذهب مع هؤلاء أو هؤلاء، أقبل هذا أو هذا، أحج أو لا أحج، انتقل إلى هنا أو إلى هنا، كل هذه فيها شدة حيرة، الحل؟ التقوى، تتقي يجعل لك فرقانا، والتقوى في هذه المواقف أصلها معرفة أن الهداية بيد الله، ويحصل في قلب العبد ذل وانكسار ورجاء وطلب شديد أن يدللك ربك للصراط المستقيم.

• ضد التقوى الثقة.

الثقة في قراري ووضوح الأمر لي، والثقة أن الحق بيّن وأني سأتابعه؛ لذلك لما تأتي للشباب الذين فُتِح لهم باب الخروج على ولي الأمر والكلام حول أنواع الجهاد، لكن عندما تأتي توقظه للفجر ولا يقوم لصلاة الفجر! لما تقول له لا تسمع كلامي لأن في رأيك أن الحكومة اشترتني! ولا تسمع كلام فلان وفلان من العلماء لأنك في رأيك أنهم كلهم عملاء، لكن في عبادة مهمة أنت قم بها؛ اتقي الله واطلب منه سبحانه وتعالى، أكثر من التقوى الذل والانكسار، والتوبة والصيام والقيام، وقل مثل ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول ((...أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ أِهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تُهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))¹ النبي يقول هذا فكيف يكون موقفك؟!

لذلك كثير من الأحوال يقولون لك للأسف: نرى أن التشيع طريقاً لا بأس به! ونرى أن الخروج هو طريق الشجعان! نقول: لا تسمع كلامي ولا كلام أحد، إن كنت صادقاً ليس عندك إلا أن تنكسر بين يديه، تنذل له وتتقيه، ولا تكلمني عن المسألة العليا الجهاد، ابدأ بالذي بين يديك، التقي يصلي الصلاة في وقتها، اطلب منه، انكسر بين يديه، اعمل العبادات المتوفرة الآن حتى ينير لك ويخرجك من الزيف.

والله نرى آثار الزيف واضحة على قليل التقوى؛ رأى نفسه استقام وهو في الحقيقة دخل في بحر لا نجاة فيه، يتصور نفسه أنه استقام لكنه غرق، والسبب أن مدخله للاستقامة مبني على هوى.

مثل هوى الكلام على الناس، عنده هوى إظهار نقائصهم، لما كان غير مستقيم كان يظهر نقائص الجيران والأصحاب، استقام لما وجد من أهل العلم علماء الجرح والتعديل المحترمين الذين يتلقى عنهم الكبار، فيترك الدين كله حتى أنه قد لا يصلي الفروض في وقتها، ويذهب يجلس بين يدي هذا الشيخ ويقول له ما رأيك في فلان!

دائماً لما أحد يسأل الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- ما رأيك في فلان يقول له: هل حفظت القرآن؟! هل قرأت السنة؟! أولاً اذهب واحفظ القرآن وافهم وبعد ذلك اسأل هذه الأسئلة، لأن هذا هوى، شخص ما يستقيم لأنه يريد أن

¹ رواه مسلم.

يستقيم ولا يسأل لأنه يريد أن يُنصح، في الداخل مرض فيستقيم في ظاهر المسألة لكن اشباعا لهذا الهوى فقط! وإلا فعلم الجرح والتعديل من العلوم التي تحتاجها الأمة لكن ليس لكل أحد، ولا من كان في قلبه مشاعر الانحراف وهو يأتي يشبعها في هذه الأبواب العلمية التي يجب أن تأخذ بحقها وليس تأخذ بهوى.

التقوى من فوائدها أن تخرج بنتيجة تمنعك أن تدخل للفرق وتزيغ إلى السبل؛ لأن الذي تتقيه سبحانه وتعالى سيجعل لك فرقانا، سيصرف قلبك عما يبغضه، سيحبب لك الإيمان ويزينه في قلبك، سيجعل في قلبك دليل إلى كل خير، وهذا الدليل:

● إما قدريا يأتي بالأقدار التي تدور حولك.

● أو شرعيا، يظهر لك دليل شرعي يبين لك الحق.

قدريا أن يقدر الله لك أن يسخر لك جيران على منهج السنة، أن تترى في مسجد أهل سنة، أو عالم ينشرح صدرك له وهو من أهل السنة.

من أهل السنة من يقول هذا القول الجميل: "إن من نعمة الله على الشاب إذا تنسك -إذا بدأ في التدين- أن يقابل صاحب سنة يحمله عليها"، هذه من النعم العظيمة أنه شخص بدأ الاستقامة ووجد صاحب سنة يحمله عليها، فلو قابل صاحب بدعة في أول شبابه سيحتاج زمن طويل ليتغير من البدعة للسنة، وهذا ما نجده اليوم في الشباب بعدما تربوا على الفكر الخارجي وتجده ما يأتي شيء إلا يذمه، الفكر الخارجي أصحابه في أي بلد كانت لا يقبلون حكامها، لا يرضون عن أحد، بحجج، من أهمها أنهم يتكلمون عن الحكم بما أنزل الله إلى آخره، لما يرون أنهم غير قابلين للحكام، ماذا يفعلون؟ ليلهم ونهارهم يبحثون عن ثغراتهم ونقائصهم، فترى دين هذا الشخص سب أولياء الأمور! يقوم ويجلس هذا دينه، السب هذا النفس المستقيمة لا تقبله ديننا.

لما نأتي للروافض نقول: أدل ما يدل على خبث مذهبكم أن دينكم السب، أين هذا الدين الذي يأمرك قائما جالسا أن تسب! فالخوارج صورة مقابلة، كررنا عليه الكلام لكن لازالت هذه المشاعر تجذبه، وهذا خطر أن يتربى الشخص على يد منحرفين، لكن من هداه الله على يد أحد للحق لا بد أن يطهر قلبه من الباطل .

من فوائد التقوى أن يحفظك الله من الزيغ، والزيغ أقرب ما يكون، بصورة ما تتصورها، بين السنة والبدعة في مواقف كثيرة شعرة، بين انتهاج منهج السنة وانتهاج منهج البدعة شعرة، من سيحفظك منها؟ لا يحفظك منها إلا الله؛ لأنه كثير من الأحيان تأتينا مواقف تخصصنا في اتخاذ القرارات تجد أن هذا الإنسان انحرف في تفكيره عن الصواب.

مثلا: امرأة نقول لها أن الزوج حقه عظيم، وكررنا حقه، عادت للبيت قالت لزوجها طلقني! لا أستطيع على حقك! هذا

زيغ في التفكير، لا بد أن تتوازن، أنت أمامك نص ثاني يقول ((أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ

عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ))^١، امشي بين النصين، هذا هو التوازن، كثير من القرارات تأتي بسبب رؤية نص واحد، ما أرى

الثاني.

^١ رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، قال الألباني: صحيح

○ كيف نفيدك التقوى ؟

إما بتيسير أمر قدري أو شرعي.

١. أما القدري: فتصاحب أحد يدلك على القرار الصائب.

٢. أما الشرعي: يذكرك الله أو تفتح كتاب تقرأ، أو تسمع في الإذاعة أو تسمع في درس بدليل يسبب لك التوازن في المشاعر فتعرف أن هذا حق وهذا باطل.

الزيغ أن لا نرى إلا طريقاً واحداً، كلما أردت أن تقدم على قرار أو على تحوّل؛ سواء كان فكراً أو ميدانياً عملياً، دائماً استهدي الله واتقيه، لينير لك ويجعل لك فرقاناً، سواء كان نوراً أو فرقاناً، سواء كان القرار واضح أو أمامي عدة خيارات يُمرّق لي فيها.

شخص يقول لآخر: ادعُ الله أن ينجح هذا الحج ويكون فيه بركة وأن ينجح مشروع القطار.. وهذا من حقوقهم ومن حقوق ولي الأمر أن يوفقهم ويسهل للمسلمين، ليس لأني لست حاجّ وليس لي علاقة بهم، بل هذه قريّ إلّا الله، فيردّ بقوله: القطار الذي سرقوا فيه كذا وكذا! يتكلمون عن الأموال، تشعر كأنه كان معهم في البلدية أو في مجلس الوزراء حتى عرف الميزانية! يوجد من يلعب برأسهم ويدخل عليهم معلومات، ولأنه يوافق هواهم يأخذها كأنها نزلت من السماء، يكلمك عن ميزانيات وأرقام كأنه كان معهم، ويتكلم عن حيثيات ودقائق لا يفهمها، أنت طالب في الثانوي أو في الجامعة متى أصبحت مهندسا أو متخصصا في مثل هذا العمل!

توجد أقلام لها أجندة خارجية، أقلام مُشتراه، يدسون السم في العسل ويكتبوه كأنه خير، بل حتى أنهم ما تركوا العلماء وأئمة الحرمين!

طلبة يريدون أن يذهبوا جامعة القرى والتفتيش طويل، فتجده يسبّهم طول الطريق لمصلحته، لو قيل له هذا سيسبب له شيء من مصالحك سيوافقك، فإذا له مصلحة يرضى أما إذا ليس له مصلحة لا مشكلة، لا مشكلة أن تذهب مصالح الناس، أنا ومن بعدي الطوفان!

قبل أحداث العراق كنا نطرح موضوع طاعة ولي الأمر، بقدر ما كانوا لا يقبلونه، الله حكيم، نسأل أن يرفع عن إخواننا في كل مكان وخاصة في العراق وفلسطين؛ لكن كأنه كان درس ومع ذلك ما انتفع به كثيرون، يريدون إعادة نفس القصة مرة أخرى؛ لذلك الأسوياء فكراً هم الذين يعلمون أن الرزاق هو الله وأن الذي يشرح الصدور ويبقي البركة في الأموال هو الله.

تجد أنّ دَخْلُ الفرد اليوم مقابل دخله قبل ٣٠ سنة لا يقارن، ومع ذلك أين البركة! الموظفون نصف الشهر أو أكثر قليلاً وهم لا أموال لهم، لماذا؟ التَّهْمُ وحب الدنيا، كل هذه مشاكل أذهبت بركة الأموال؛ غير المعاصي والذنوب واستخدامها في غير ما يرضي الله، وعمليات مشبوهة، غير التفاخر والريا وإرادة العلو والاستدانة بطريق لا يلزم. كل هذه تصرفات شخصية ليست من تصرفات ولي الأمر أذهبت البركة، وإلا فأهل جدة يعرفون ماذا كان الريال سابقاً، وليس المائة أو الألف.

على كل حال كل هذه الظواهر سببها عدم التقوى، لو كان الإنسان عنده تقوى؛ يعلم أنه سيحاسب يوم القيامة ويأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى تفي حسناته فيؤخذ من سيئات هؤلاء فيطرح في النار، هل الكلام عن المسلمين هكذا سائر وليس لأحد حق؟!

﴿ **الفائدة الثالثة عشر:** سبب لنيل رحمة الله، وهذه الرحمة تكون في الدنيا كما تكون في الآخرة:

- قال تعالى: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ** ﴾^١ .

انظر ثلاث كلمات :

١ . وصف نفسه بالرحمة .

٢ . ثم وُصفت هذه الرحمة بالسعة، إذن رحمة واسعة .

٣ . السعة وُصفت بما يدل عليها بما يزيدنا بياناً، ما هو هذا الوصف؟ (كُلُّ شَيْءٍ) .

لَمَنْ يا ربنا هذه الرحمة ؟ ﴿ **فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ** ﴾ ؛ إذن أهل التقوى هم أهل الرحمة، أهلها أي: المستحقين لها في الدنيا قبل الآخرة .

⇐ **ما هي الرحمة التي ستنزل عليهم في الدنيا قبل الآخرة ؟**

أما رحمة الآخرة فظاهرة وما يحصل في عرصات يوم القيامة من رحمة أهل التقوى، لكن الإشكال فهمنا للرحمة في الدنيا، كيف تكون مرحوماً في الدنيا؟

نذكر بعض مظاهر الرحمة في الدنيا، أولها وأهمها:

- **سِعة وانسراح في الصدر**، الرحمة كلها دائرة عليك أنت وليس على ما حولك، ليست اتساع في المنزل وكثرة أكمل، الرحمة الحقيقية شيء يخصك أنت كشخص، أين ما كنت معك الرحمة .
- من آثار الرحمة: **الْمُ حَال الذنب**، لكن الألم هذا متى يأتي ؟ حال الذنب، أي : يرحمك الله بأن يجعل قلبك يشعر بألم الذنب .

مثلا من رحمة الله ارتفاع درجة الحرارة لو كان الإنسان مريضاً، بعض الآلام، هذه رحمة، لأنها ستشير إلى مرض، فلا يأكل المرض البدن والإنسان لا يدرك ماذا يترك وماذا يفعل، تصور هذه الصورة وقس عليها حالة القلب، إذا كان البدن ميت لا تظهر عليه هذه الآثار: لا ارتفاع الحرارة ولا أي آلام، لكن تعال إلى القلب؛ من الرحمة أن تشعر بألم في قلبك لما ترتكب ذنب

وقت ما تذنّب في حقه سبحانه وتعالى وتقتصر في الحقوق ولا تقوم بحقوق الخلق التي أمرك الله بها ذاك الوقت تشعر بألم، هذا من الرحمة لأنه يسبب لك التوبة والعودة .

الأعراف: ١٥٦ .

مثلا فلانة على خصام معي وأراضيها ولا ترضى، فكتبت لها رسالة قلت لها: (أعتذر عما صدر مني) وكتبت رسالة الاعتذار حتى لما يسألني الله ماذا فعلت في حق أذاك أو أختك أقول: اعتذرت بما أستطيع، يحرك هذا ألم، لأنك خائف لما تلقى الله ماذا أقول له.

■ من آثار الرحمة بقاء همّ اللقاء، همّ ليس بمعنى همّ وغمّ بل همّ من الاهتمام، بقاء الاهتمام باللقاء؛ ولذلك من رحمة الله أن تكون فيك خالصة ذكرى الدار، هذا أمر نسأل الله أن يوفقنا إليه، هو للأنبياء والمرسلين وبعدهم من الأولياء والصالحين أن يكون ذكر الدار دائما على بالهم مستعدين لها، هذا من آثار الرحمة؛ أن تكون للقاء المهم العظيم مستعدًا، تحمل همه، تفكر فيه، وكلما فعلت شيئا أعددت لكل سؤال جوابا: لماذا فعلت كذا؟ يكون عندك جواب تقوله.

■ من آثار الرحمة : الرضا عن الله، فتجد المرحوم الذي نزلت عليه رحمة الله مسبحا حامدا ذاكرا، لا يتكلم عن الله إلا وهو يثني عليه، لا يتكلم عن عطايا الله إلا وهو قابلا راضيا عنه سبحانه وتعالى.

■ ومن آثار الرحمة: حول وقوة في البدن لطاعته، وهذا أثر عجيب.

الله -عز وجل- يعطيك حول وقوة على قدر تقواك وبقائك عند بابه وذلك له، تُعطى حول وقوة على طاعته، فمن رحمته بك أن يعطيك حول وقوة على الطاعة، ومن سخطه على أهل المعصية أن يعطيهم حول وقوة على المعصية، لا يعصي أحد الله -عز وجل- إلا بإذنه، لا تتصور أنه يعصي بحول وقوة منه، لا، الله غير راض عنه، صحيح، لكن الله -عز وجل- لما يقبل العبد عليه يقبل الله ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^١، الصنف الثاني: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^٢، أعطاهم حول وقوة ومواقف وأحداث تزيدهم زيغا، وهذا حقا ما نخافه، حقا نخاف أن يزيغ العبد ثم تفتح له أبواب الزيغ ثم ترى قلبه مغلق عن الحق.

■ من آثار الرحمة : أن يكون العبد سبب للبركة، مُبارك على من حوله.

إذا رحمك الله تدخل عند هذا فتنصحه فتصلح بينه وبين زوجته، إذا كنت مرحوما كنت مباركا، تقابل هؤلاء فتقول لهم قولا ينفعهم في حياتهم وأحرفهم، تدخل على هؤلاء فتشرح صدورهم بزيارتك لهم، تجد نفسك شخص يومك كله بركة، أحداث تنفع بها نفسك والآخرين، هذا من آثار الرحمة، من رحمته بالعبد أن يجعله مباركا، تصور يومك بساعاته كله سبب للبركة على نفسك وعلى الناس أكيد أنّ هذا من فتح أبواب الطاعة العظيمة لك.

■ أيضا من آثار الرحمة: القناعة؛ انصراف همّ للآخرة والقناعة من الدنيا، فلا تكون طماعاً، الذي يأتي تستمتع به، والذي لا يأتي لا تتحسر عليه، لا يقال لك: رزق أتاك من باب حلال لا طلب فيه ولا دُلْ لغير الله لا يقال لك لا تستمتع به، لو ما أتى لا تستعمل أسلوب الإلحاح والكدر على مفقود، هذا تصرف عقل ناقص، كأولادنا لما يطلبون وما نأتي لهم ينسوا كل ما فعلناه لهم وعندما تسأليه ما به؟ يرد عليك أنك لا تحببه ولا تأتي

^١ محمد: ١٧.

^٢ الصف: ٥٠.

له بما أريده! في قلبي اتجاه الابن أنه نكّار، طول الأيام أفعل لك هذا كله وعلى مأكول ومشروب أو مِرْسَام ما أتيت به لك أصبحت لا أحبك! ترضى عني لما أعطيك وما ترضى عني لما ما أعطيك! هذا ليس حباً حقيقياً بل حب مصالح.

مثل هذا يكون العبد مكدر، لأن الحياة ما جُبلت على صفو بل على كدر، والإنسان فيها في كبد، لا يمكن أن يكون رضاك على حسب ما يرضيك.

إذن من رحمة الله بالعبد الرحمة الخاصة: أن يجعلك لا تطمع بالدنيا، أي: لا تتكدر لفقدتها، لا يأتي يوم تنام وأنت متضايق لأنك لم تشتري شيء من الدنيا، أو لأنك لم تُزّر فلاناً زيارة إيناس فقط وليس زيارة مريض، شيء تريده أنت من الدنيا، لا تقضي ساعات حزن على منع شيء من الدنيا، هذا من رحمة الله بك.

من رحمة الله لك أن تصل إلى هذه الدرجة من القناعة، هذا الكلام يزيد كلما زاد عمر الإنسان، يزيد آثار هذا النوع من الرحمة على العبد، وليس شرطاً أن يكبر العمر والطمع في الدنيا يقل، يوجد عكس ذلك كما ورد في صحيح البخاري في كتاب الرقاق، أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ((لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًا فِي اثْنَيْنِ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ))^١، يزيد طمعه، ليس كل الناس زيادة أعمارهم سبب لتركهم الطمع، الذي يكون في قلبه تقوى تنزل عليه الرحمة، ما أثر الرحمة؟ يقل طمعه، لكن هل هذا يعني أن كل من كبر عمره قل طمعه؟ لا؛ لأن الشباب دائماً يقولون لكبار السن: عمرك كذا ومازلت طماع؟! ومازلت تريد أن تلبس؟! لكن الكبير الذي ليس في قلبه تقوى تجده طماع ويشعر أنه لا بأس به وممنوع على الشباب أن يلوموه، لا هذا صواب ولا هذا صواب، لا الشاب حقه أن يلوم ولا الكبير حقه أن يطمع، المفروض أنك مستدبر للدنيا مقبل للآخرة كلما كبرنا، المفروض عقلاً أن ينقطع الطمع، لكن ما يحصل عكس ذلك لمن لم يكن في قلبه تقوى ولا آثار الرحمة.

■ من آثار الرحمة الله على قلبك: أن ينقطع الإلحاح منك على الدنيا.

هناك أشخاص مبتلون في طباعهم بالإلحاح، أنت شَخْص نفسك، لو لقيت نفسك من هؤلاء الأشخاص أنك ما ترتاح إلا لما يأتي لك هذا الغرض، جاهد من أجل لا يكبر معك الطبع فلا تستطيع التخلص منه في تقدم عمرك، لا بد من معالجات، لا تكن لحوحاً على الدنيا، إذا تريد أن تلح لِح على أمر الآخرة، إذا عندك طاقة إلحاحية اصرفها لأمر الآخرة، المفروض يكون تفكيرك متى أحفظ القرآن؟ أحطط له، أو مسائل تتصل بعملك الخاص لا بد أن أنام مبكراً لأقوم، لا بد أنظم وقتي لأقرأ حزبي، لا بد ما أنسى الأذكار، ويوجد أشخاص ما عندهم صفة الإلحاح، يعني الذي يأتي يأتي والذي ما يأتي ما يأتي، فهؤلاء يتعبوننا من جهة أخرى؛ أنهم حتى في الآخرة ما عندهم كثير عناية، نحن لا نريد هذا على الشطط ولا هذا على الشطط، نريد التوازن.

^١ رواد البخاري.

■ من رحمة الله: أن تذبل الدنيا قي قلبك.

و لو جاءت الدنيا استمتع بها، لست ممنوعا من الاستمتاع، وأنت تمثل الدنيا كالتالي: مثلا سافرت على حساب أحد وذهب بك لفندق جميل وأكلت وشربت، وانتهت المدة وخرجت هل ستأخذ الحائط معك؟! لو حملنا باقي الأكل سيخرب، وهذا الفندق جميل ماذا تفعل حتى يبقى استمتاعك به؟ لا شيء، هل أصوره ثم أنظر وأقول يا حسرتي؟! وهذه الكلمة بالضبط يقولها الإنسان لما يغادر الدنيا! ليست الحسرة على ما كان فيها لكن لأنه لم ينتبه إلى أين يذهب، ذكرى الدار غير موجودة في عقلك، فمن رحمة الله أن تذبل الدنيا وتزهو الآخرة.

■ من آثار الرحمة: تحبيب الإيمان وتزيينه في القلب، وتبغيض الكفر والفسوق والعصيان.

ستجد هذه النقاط قريبة من بعضها في المفهوم، ولذلك لو فهمتها تفهم لماذا ابن تيمية قال "جنيتي في صدري" لماذا جنته في صدره؟ لأن آثار الرحمة هنا، في قلبك وليس فيما تملك حولك، لما يتسع عليك القلب تكون شاكرا، لما يضيق عليك البيت صدرك مشروح، هنا منشرح وهنا منشرح، عن ربك دائما راضي، لذلك يأتيك الحج ليقال لك انظر للدنيا مثل هذه الأربع أيام هنا تنتقل وهنا تخرج وبعد ذلك تأتي كلمة انتهى الحج مثل كلمة انتهت الحياة. تنتقل تنتقل، أحسنت يساوي فزت، ما أحسنت يساوي خسرت، وفي النهاية لا بد تنتهي الحياة كما ينتهي الطواف والسعي، لما تسعى، لا بد أن تقف بعد ٧ أشواط، وهكذا لما تسعى للدنيا لا بد ينتهي سعيك، لكن إلى من تسعى وتحفد؟ ما مقدار سعيك لله أو سعيك للدنيا؟ أنت تمشي في المسعى ساعيا لربك وغيرك يسعى في الدنيا، نفس المسافة، لكن أنت ترتفع درجاتك إن كنت مخلصا وذاك يسعى للمنكر ففي الدركات ينزل، الحياة بنفس الصورة، الناس فيها سواسية يتقبلون فيها، لكن في النهاية إلى أين يذهبون؟ هذا علمه عند الله وآثاره ظاهرة في الدنيا؛ على قد ما يشرح الله الصدور والقلوب من أبواب للعلم والطاعة والخوف والرجاء.

لازلنا نتكلم عن آثار التقوى على المتقي، نعيد السؤال مرة أخرى: كيف أكون شخصا متقيا؟

الجواب: محتاجين لثلاثة أركان حتى أكون شخصا متقيا، ما هي؟

(١) العلم.

(٢) المحبة والخوف والرجاء.

(٣) والعمل أو الترك.

بهذا الترتيب تسير المسألة، كلما زدت علما ووقع العلم في القلب وليس في الأوراق والأقلام! مكان العلم الذي يصلح الفؤاد هو أن يكون القلب خاليا له، ثم إذا وقع العلم تأتي المحبة والخوف والرجاء؛ لذلك قاعدة العلوم أن تتعلم عن الله، تعرف من ربنا الذي تسعى إليه وتحفد؟ ولذلك يسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- الأعرابي ((أتدري ما الله))، لو كنت تعلم من هو الله كان قلبك امتلاء حبا وخوفا ورجاء، وذاك الوقت عملا أو تركا، ولذلك أولها وأهمها وقاعدتها (اعلم رحمك الله)، هذه القاعدة التي يبني عليها كل شيء بعده.

أكثر القرب إلى الله فاعليّة ولها أثر في حياة المسلمين هي نشر العلم، اليوم المسلمون حقا في حاجة شديدة لنشر العلم على جميع الأصعدة وبكل الطرق من صغيرهم لكبيرهم، والعلم الذي يصل للقلب لا بد يكون مبناه القرآن والسنة، فلا بد من نهضة علمية ليست دنيوية والدنيوية تابعة، لا بد من فهم كلام الله ورسوله، نحن نتقن أشياء كثيرة ونعلم أن عندنا ضعف شديد في فهم تدبر كلام الله ورسوله.

أهل الإسلام يشتركون كلهم في أنهم يفعلون ويتركون لكن لا يشتركون في أنهم كلهم أهل تقوى، المتقي يشترك معهم في أنه يفعل ويترك لكن يفارقهم في أنه يجب ويخاف ويرجو؛ وحبه وخوفه ورجاءه مبني على العلم، كل المسلمين يعملون، وعلى هذا كل المسلمين أتقياء؟! كلهم يشتركون أنهم يعملوا الطاعات، ما الفوارق؟ عمل الأتقياء مبني على المحبة والخوف والرجاء المبني على العلم، لكن تجد ناس يعملون تقليدًا، تجد ناس يعملون بناءً على العلم لكن لا يوجد في الوسط المحبة والخوف والرجاء، فتجده عند أي رياح ينكسر، وهذه الأنواع كلها ذكرت لك في سورة الحج، ذكر لك

- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ لا يوجد خوف ولا رجاء ولا فهم، يصلي ويقوم لكنه على حرف!
﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾^١ هذا الشخص لا يعرف ربه ومن ثم ما وقع في قلبه المحبة والخوف والرجاء.

- أيضا هناك صنف آخر ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾^٢ في قلبه كثير، إلى آخر الأوصاف.

فأنت إما أن تكون تقي أو أحد من هذه الأصناف، فيه صنف يعمل من غير محبة وخوف ورجاء فيسقط، وصنف يجادل، أخذ قرار أنه ما يعمل، لو رسمت دائرة (المسلمين) سترسم دائرة الأتقياء في داخلها، ما صفتهم؟ يزيدون عن عنده وصف الإسلام بالعلم والمحبة والخوف والرجاء، ويشتركون معهم في العمل؛ ولذلك لما وُصف أبو بكر رضي الله عنه في وصف -هناك كلام في ثبوته- الصحابة قالوا: "ما سبق بكثير عمل، سبق بشيء وقر في قلبه" ما هو الذي وقر -استقر في القلب -؟ المحبة والخوف والرجاء، ناتج من العلم.

ليس كل علم نافع لأصحابه، قد يتعلم الإنسان ويكتب في أوراقه وقلبه غير مفتوح، إذن لا بد أن يكون هذا العلم مسلكه مباشرة إلى القلب، كيف؟ هذه تحتاج لوحدها لمبحث وفهم دقيق؛ لا بد لكي يكون العلم نافعا أن يأتي لك بالحب والخوف والرجاء، كيف التوازن بينهم؟ كيف أفهم بالتفصيل؟ هذه أيضا تحتاج لوحدها لمبحث، كيف يكون العمل والترك؟ هذه أيضا قضية لوحدها.

أصبحت التقوى تحمل هذه الثلاث قضايا الخطيرة التي كل منها لوحدها تعتبر مبحث مستقل، كيف القلب الطاهر يستقبل العلم؟ ما أنواعه ما أقسامه؟ ما أساس العلم؟ على ماذا يبني؟ ما تفاصيل الحب والخوف والرجاء؟ كيف ما

^١ الحج: ١١.

^٢ الحج: ٨.

تضطرب فيه؟ كيف ما تُشُدُّ؟ كيف ما تخرج إلى فرق؟ هذا أيضا فضية؛ وبعد ذلك العلم والترك وتفصيله والمحجوب والمفروض.

ثم تأتينا قضية مهمة في التقوى وهي المجاهدة، هذا أيضا أمر يحتاج لكثير بحث، فنحن نقول اسم عام لقضايا كلية تدخل تحته، وهذه القضايا تُناقش مفردة.

باقي علينا أيضا القواعد الفكرية التي تحكم لك مسألة المجاهدة، هذه مهمة جدا، لكن أسأل الله الفتح والقبول.

﴿ الفائدة الرابعة عشر: سبب لنيل معية الله الخاصة.﴾

من الاعتقادات العظيمة أن تعتقد أن الله مع عباده، وهذا ما نسميه المعية، أهل السنة والجماعة يفترون عن غيرهم من الفرق في صفات من أهمها صفة (الاستواء والعلو والمعية)، وهذه الصفات تحتاج أن تفهمها جيدا لأنها تمثل لك الصلة والقربى.

تفهم ثلاث أمور، وهذه الثلاثة أمور ستؤثر على ركوعك وسجودك، وقربك وذكرك بصورة ما تتصورها، فإذا علمت أن الله على العرش استوى علمت أن لك ربا عالٍ على عرشه، وعلمت أن السماوات والأرض في يمينه سبحانه وتعالى كخردله في يمين أحدكم، وعلمت أن هذا الملك العظيم الذي تراه عظيما، السماوات والأرض بالنسبة للكرسي الذي هو موضع قدم الرب كحلقة في فلاة، أترى الريال المعدني أو أصغر منه، لو رميته في صحراء أين تجده في هذه الصحراء مقارنة بسعتها؟ لا شيء.

السماوات والأرض ما تدركها، الأرض ما رأيته مرةً مجملة على بعض، ثم السماوات وما فيها من كواكب وما فيها من أجرام وما فيها من دروب كما يعبرون، كلها مع بعضها شيء أنت بنفسك ما تستطيع إدراكه، وربما يصور لك تصويراً بسيطاً في الأفلام الوثائقية، يصور للإنسان هو من بالنسبة للشمس؟ أرضه بالنسبة للشمس ماذا! وبالنسبة للمريخ والمشتري! الأرض بحجمها بالنسبة لهؤلاء حجم لا يذكر، ثم كل الذي نحن فيه، كل ما يسمونه بالمجموعة الشمسية لباقي النجوم والدروب شيء لا يذكر، ثم كل هؤلاء بالنسبة للكرسي كأنك ترمي هذه الحلقة الصغيرة في صحراء كبيرة، فانظر إلى عظمته سبحانه وتعالى، ثم هذا الكرسي بالنسبة للعرش كحلقة في فلاة، وريك أكبر؛ ولهذا لو لم تعتقد أنه على العرش استوى ذهب عنك هذا كله، فأنت وأنت ساجد تفهم هذين المفهومين معاً، أنه عال على خلقه مستوي على عرشه لكن هذا لا يعني امتناع المعية، بل هو معهم سبحانه وتعالى بعلمه وبرحمته وبقره، لا بد أن تتصور القرب، فأنت شيء حقير وهو شيء عظيم، لا يمكن أن تتصور أن مانعا يمنع اقترابك منه، لا تتصور هذا أبداً، فالسماوات والأرض في يمينه كخردله في يمين أحدكم، كيف يكون أحدكم محيطا بخردله بيده؟ إحاطة تامة.

فهذه السماوات والأرض وأنت في داخلها، فهو محيط بنا إحاطة تامة، وقريب من عباده قريبا تاما.

لكن المعية نوعان:

- ١- معية عامة: مع الخلق كلهم، محيط بأحوالهم. معهم بعلمه وبرحمته، وياطلعه على ظاهر أمرهم وخاصته.
- ٢- المعية الخاصة: هذا الذي يهمنا لأهل الإيمان والحسين والمتقين..، فما المعية الخاصة؟ مثل الرحمة الخاصة.

- ما دليلاً على أن هذه المعية تخص أهل التقوى؟

آية النحل ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^١.

- ماذا يعني أن يكون الله - عز وجل - معك؟

(التسديد، الحفظ) هذه من آثار المعية الخاصة، نكتفي بهذين الأثرين لأنهما ظاهرين والباقي يدخل في داخلها. التسديد بمعنى التوفيق.

نبدأ بالكلام حول ما يصلح قلبك، ما يصلح دينك، ثم ما يصلح دنياك، أحياناً من التسديد أن لا تنجح، فقد يكون استمرار نجاحك سبباً للعمى.

- لماذا يكون النجاح سبباً للعمى؟

النجاح يفهم هذا الكلام جيداً، تصور لو أنك ناجح طوال الوقت، أولاً سيصيبك العمى وتظن دائماً أن قراراتك صائبة، سيختفي ما يسمى بحد الخطر، وأنا أمشي وأبجح وأبجح فأفهم أنني دائماً ناجح، ما يأتيني شيء يقول: احذر منه، خطر، بسبب استمرار النجاح.

الصورة الثانية:

أن الفشل داخل النجاح يسبب إعادة الأوراق والترتيب، لا يوجد أحد ابتكر شيئاً إلا بعدما فشل مرة، أسأل الناجحين وهم يفهمون هذا الكلام؛ لا يوجد أحد طوّر شيء إلا بعد ما فشل مرة، كما يعبرون: الحاجة أم الاختراع.

لما تريد أن تفسر التسديد والتوفيق لا بد أن تفسره صحيحاً، ما تنظر للموقف ناقصاً إنما انظر له كاملاً، فترى أنّ من تسديد الله لك في هذه المرحلة أنك ما استطعت أن تفعل، مثلاً: ما اشتغلت طابعتي، أو لم يشتغل الجهاز، أو ما اشتغل النت، أنت الآن تراه خيبة وهو مرحلة من مراحل التسديد؛ فلما يكون الله معك تكون مسدداً، فلا يأتي شخص مستقيم على الطريق المستقيم وبذل جهوده ودعا ودعا، وفي أول مراحل خاب ثم يقول: هذه نتيجة الدعاوي؟! هذه نتيجة الصلاة؟! لا يعرف يترجم الحدث!

الأمر مجمل سيكون فيه التسديد، لكن لا بد أن تأتي هذه المرحلة التي تفشل فيها حتى يتجه تفكيرك اتجاه آخر، ولما تتجه اتجاه آخر تنجح.

المقصود من كل هذا النقاش أن تتصور لو كان الله معك ستكون النتيجة التسديد والتوفيق، هذا التسديد والتوفيق لا بد تعرف تترجمه، لكن مشكلتنا أننا لا نعرف نترجم أفعال الله، ليس لدينا تلك الشفرة التي تجعلنا ننظر إلى أن رحمة الله تحيط بك.

مثال: يوسف عليه السلام لما طلب من صاحبه في السجن أن يذكره عند ربه، أنساه الشيطان، لكن لما أنساه الشيطان كانت هناك حكمة للرحمن، تصوري الفارق بين خروجه لو أخبر صاحبه الملك بقصته والفارق بين خروجه على الحال التي كانت، لما صاحبه يذهب للملك ويحكى أنه حصل وحصل وأنا رأينا محسناً ستكون المنّة للملك وسيكون إخراج

النحل: ١٢٨.

الضعيف للضعيف، ثم سيخرج ويذهب في حال سبيله، يخرج ويرجع إلى بلده، لكن خرج بحال سببت له أن يكون هو الملك على حقيقة الأمر، صحيح أن النسيان كان من الشيطان لكنه كان بتقدير الرحمن.

سيأتيك رزقك في الوقت المناسب.

وهذه من معاني اسم اللطيف، أنه يسوق الخير من أضيق أبوابه، من الأماكن الضيقة ويأتي به في زمن ينفع به صاحبه أنفع ما يكون، الرحمة أن يأتيك الرزق لكن اللطف نوع من أنواع الرحمة دقيقة، يأتيك الرزق من مكان ضيق ما تظن أن سجننا يؤدي إلى ملك أبدا، فيأتيك الرزق من أضيق مكان، وأيضاً هناك شيء آخر مهم (وفي الزمن المناسب).

في الزمن المناسب ابني يهتدي، في الزمن المناسب هذه المدرسة تصلح، في الزمن المناسب هذا الشخص يصل، في الزمن المناسب هذا الأكل يصل؛ ولذلك عندنا أخطاء كثيرة في انتقاد أفعال الله وعطاياه، أهم شيء أن تبني حياتك على **حسن الظن به**، هذه العبادة التي لا تنفك عنك أبداً، أي تأخير وأي تقدم لا بد أن الخير يساق إليك من هذا، وهذه

ترجمة يوسف عليه السلام للحدث، في آخر القصة قال ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾^١، أي: رأيت آثار لطفه في كل فعله، لكن نحن عندنا القضية عكسية، نقول: هذا هو وقته؟! ليته تقدم قليلاً!

الله -عز وجل- يربي عباده بأرزاقه، فثحرم من شيء له أبواب كثيرة، رزق طعام تحرم منه وعندك جار وأم، ثم مرة واحدة يأتيك من هذه الأبواب كلها، فجواب الجاهل بربه: إما ما عندنا شيء أو أربعة خمسة! المفروض في موقف مثل هذا تبقى شاكراً حامداً مثنياً على الله أنه علمك، أنه لا بد بعد كل ضيق فرج وأي فرج، تأكل مالخ من كم صنف، وتأكل حلو من كم صنف بعد ما كنت أياماً لا تجد شيئاً.

علاقتنا بالدنيا؛ ما أتانا منها استمتعنا به، وما لم يأت لنا مازلنا مستمعين بما معنا من صحة وعافية وسلامة في ديننا. تفسير الأحداث من المؤكد ستشعرك بمعنى المعية، كيف يوفقك من جهة ويسدك، ومن الجهة الثانية يحفظك، كم من القرارات كانت ستسبب لك أن ينزلق قدمك! كم من المرات كنت ستذهب فتنشل؟ كم من الأحداث كانت ستسبب لك زوال مالك زوال صحتك؟ في المقابل يحفظك في هذا كله كونك متقي؛ يكون معك المعية الخاصة فيوفق ويسدد منه

تفهم حديث ((كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ

وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ))^٢، كم من المرات كسلك عن علاقة أو عن خروج وكان حفظك بهذا الكسل؟ وكم من المرات

نشطك لمكان فكان صلاحك لهذا الخروج؟ وكم من المرات استثقلت لقاء شخص فتلقاه فيكون من عنده مفاتيح وفرج لم تكن تنتظرها؟ تجد أن تاريخنا مليء؛ لكن مشكلتنا ننسى عطاياه، ما نجعل عطاياه أمام عينينا، ما نجعل تجاربنا مسجلة.

للناس هوس أن يصوروا الأماكن والأشخاص، هوس في كتابة المذكرات! فصوروا الأحداث، اكتب حدثاً رأيت فيه رأفته ورحمته ولطفه؛ لطف بي ربي ففعل بي كذا وكذا، كنت في سفر فحفظ لي كذا، اكتبها في عقلك وقلبك قبل أوراقك،

^١ يوسف: ١٠٠.

^٢ رواه البخاري في صحيحه.

حتى كلما ضعفت في قلبك هذه المشاعر وكلما دخلت ضيق شديد ترى أنه في عام ألف وأربعمائة حدث لي في حياتي غير المجرى وظننت أنه شر وأتى الخير كله من ورائه، لكن الشيطان ينسبك عطاياه، وهذه الغفلة عن التقوى. الغفلة ضرر على التقوى، تجعل القلب غافلاً عن كمال صفات ربه، وما يستحقه سبحانه وتعالى من التعظيم والتبجيل والانكسار، والرضا بما قضاه.

﴿ من آثار التقوى أن العاقبة تكون لهم. ﴾

- قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾^١.

فما العاقبة؟ هذا المفهوم يُكَمِّل المفهوم السابق، حتى تتصوره، العاقبة تعني النهاية.

- في الدنيا ماذا تعني العاقبة؟

أي: أنت تمشي في طريق مستقيم وبجانبك شخص يمشي في طريق معوج، أنت تمشي كالسلاحفة وهو يمشي كالأرنب، الصورة تقول: لا بد أن يسبق الأرنب السلاحفة، والحقيقة تقول: ستسبق السلاحفة الأرنب إذا كنت من أهل التقوى، فصورتك عند الناس مثل هذه السلاحفة، وصورة المعوج عند الناس كالأرنب يجري، يقولون انظر كيف طور نفسه وكم بنى من عمارة وأنت جالس تقول إيمان!

فتقول **والعاقبة للتقوى**، على يقين أن العاقبة للتقوى، أنت كن على يقين أنك مادام سائر فستمشي ببطء لا بد، لكن مادام معك التسديد والتوفيق ومعك الله، النهاية لك في الدنيا قبل الآخرة.

ولهذا بيت صغير أنا وأولادي لكن نعيم وسعادة، أبناء وأحفاد والتقاء واجتماع وحب، وهناك بيت كبير لكن يخافون من العين، بيت كبير أولادهم لا يجتمعون، ولما مات أبوهم تضاربون على الوژث.

حتى في العلم، حتى في المناهج الفكرية، تجد نفسك ما زلت الآن تقرأ وتكتب وتسجل، وأحد زملاءك وصل لدرجة أن يحط ويحاضر، فيقول لك: عَجَل، فقط اقرأ كتيبات وقرأ وتكلم، أنت شجاع والناس أي شيء يقنعهم! وفي الأخير ماذا سيحصل لهذا؟ من المؤكد أن هذا السريع سيسقط، وأنت البطيء الذي قضيت ١٥ سنة تجمع وتكتب ستأتي اللحظة التي تكون العاقبة لك، فتكون أنت الشيخ المحترم صاحب العلم؛ وهو الذي لا يقبل منه لا كلامه ولا فكره، تخيل أن أهل التقوى هم أهل العاقبة النهائية في الدنيا قبل الآخرة

مثال: زوجتين مع أزواجهن، إحداهن صبرت واحتملت فكانت العاقبة لها، والثانية استعجلت من أول الأمر فتطلقت فبقيت مشتتة، والاثنين سائرين في نفس الطريق وفي نفس أنواع الصعوبة، لكن شخص صبر فكانت العاقبة له واتقى الله فكانت العاقبة له، والثاني استعجل الأمور وما قبل بأمر الله فأخذ قرار ليس في صالحه لأنه لم يكن سائر على خط التقوى فتعجل في قراراته.

دائماً اجعل هذه النقطة أمام عينيك؛ لا تنسى المثل المشهور مثل السلاحفة والأرنب، وتصور أن الناس ينظرون إلى هذا التقي على أنه لا يتحرك، وأن فاقد التقوى إنسان موجود له أثره، لكن سترى بعد ذلك العاقبة لمن.

أذكركم أن هذه الفوائد رسالة للشيخ ابن عثيمين رحمة الله عليه، كتبها في فوائد التقوى ونحن نقوم بالتعليق عليها.

﴿ **الفائدة الخامسة عشر:** سبب لحصول البشرى في الحياة الدنيا، سواء بالرؤيا الصالحة، أو بمحبة الناس له والثناء عليه.

دلينا على أن له البشرى، سبب لحصول البشرى:

- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^١.

هو الآن يفسر كيف سيشر في الحياة الدنيا، فقال: تكون له البشرى في الحياة الدنيا بأن يُرى في رؤيا صالحة أو يقع أن أهل الخير؛ الناس هنا مخصوصين ليس كل الناس، لأنه لو فقط محبة الناس سترى كثير من الفساق محبوبين من كثير من الناس، لكن المقصود محبة أهل الخير والثناء عليه، فيكون العبد متقي لا يريد إلا وجه الله، يُدم في أول الأمر ويُتنقص ويراه الخلق أنه ليس ذا حظ، ثم تكون العاقبة له، العاقبة للتقوى، ويجد الإنسان بعد أن كان مبغوضا يصبح محبوبا، بعد أن كان مرفوضا يصبح مقبولا، ومثاله الواضح لما يأتي كثير من الأتقياء وترى بيوتهم أو أقاربهم.

هذه امرأة تقيه ولها أهل زوج، في أول الأمر لا أقبل الاختلاط ولا أقبل الخروج إلى المنكرات، وهذا كله المفروض يكون بلطف، لا أقبل المنكرات ولا أخرج إليها بهدوء ولطف أقول لهم، فبعد الدَّم والنَّبذ وكل شيء، يشعرون اتجاهك أنك أقل من الباقي الموجود، هذا أول الأمر، لكن لا بد أن تعرف أن العاقبة للتقوى، نهاية الأمر تصبح أنت المحبوب، وأنت التي تُستشار، وأنت التي تُسأل، أنت زوجة الابن البار، لكن ليس من أول الأمر.

- الانقلاب فيه مفهومين (العاقبة للتقوى) ومفهوم (البشرى).

أنت في أول الأمر اتقيت، حرصت على أن لا تشتري خواطهم على الدين، فنبذوك، ولا بد من النبذ، نحن في غربة بسيطة، الناس اعتادوا على منكرات، فبينك وبينهم حاصل غربة، يرفضوك في أول الأمر لكن العاقبة لك ثم التحول الشعوري والمحبة والثناء تصبح لك، أنت تقول سبحان الله كيف يتغير أحوال الناس، وكم ممن عادى الدعوة للسنة وبغضها وأبغض أصحابها جعلهم الله - عز وجل - آية في التحول إلى محبتها، يعني كانوا في أول الأمر يحاربون هؤلاء الذين يحملون السنة ثم تتحول قلوبهم فيقبلون السنة ويجنون أصحابها، وهذا من عاجل البشرى في الدنيا للشخص، لكن المهم هنا أن لا تعمل لهذا، ما تتقي ليحبك الناس وتفوز في الأخير، **كن متقي للتقوى.**

لذلك لا بد يختبرك الله، فكما جعل الله البداية للتقوى جعل العاقبة للتقوى، فما يثبت عليها إلا شخص يريد وجه الله.

أما **الرؤيا الصالحة** فالمقصود والله أعلم، أن تُرى في هذا الشخص رؤيا صالحة من صلاح، يعني صالح يرى في التقى رؤيا صالحة سواء كان في حياة هذا الرجل أو بعد مماته، يُبشر التقى أو يُبشر عنه في الدنيا برؤيا صالحة يراها شخص صالح، أو يكون هذا الشخص الصالح سبب لاستقامة أشخاص لكن الطريق الرؤيا.

أضرب مثلا لتتصوروا: شخص غير مستقيم لكن يعرف أن هناك علماء وشخص اسمه الشيخ ابن باز رحمه الله وابن عثيمين رحمه الله والشيخ الغديان رحمه الله، وهو نائم يرى رؤيا أن هؤلاء يدعونه إلى الاستقامة، يدعونه للطواف، يدعونه

^١ يونس: ٦٣-٦٤.

لطلب العلم، يدعونه لترك محرم فيستقيم بسبب الرؤيا؛ فهذا بشرى لمن رُؤِيَ أيضا، فكأنه من تقواه بُشر بنوع رؤيا في صلاح نفسه أو إصلاحه، مثلا مات وأحد الصالحين رآه في حال حسنة، هذه بشرى له، وهذا بعد مماته. النوع الثاني في حياته يُرى أنه في أحسن حال أو يُرى أنه يدعو للدين أو يُرى أنه متابع لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، هذا أيضا نوع من البشرى في حياته.

الغالب في الاثنين هذه أن يكون الذي رأى نفسه صالح شخص غير مستقيم، فيه نوع من الفسق، فيقول لك: رأيت أن الشيخ ابن باز يقول لي: دَعُ عنك الدخان لأنه نتن، فيتركه ويتوب، بناء على الرؤيا، وهو عنده ابن باز شخص يمثل الدين، ورآه، لماذا صُور هذه الصورة وكان هذا الأثر في قلبه؟ هذا من البشرى للشيخ

• بشراه في الدنيا:

أن يراه صالحين في حياته أنه يسير خلف النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه يذُب عن النبي صلى الله عليه وسلم الذباب، مثل ما رُؤِيَ للبخاري أنه يذُب عن النبي صلى الله عليه وسلم الذباب، فُفسر أنه يذُب عن السنة أهل الشر ويكون سببا في حفظها، فهذه رؤيا من صالح لتقي، كانت بشرى للتقي في حياته، بشرى للبخاري التقي، بعد موته رُؤِيَ أيضا البخاري في حال حسنة، هذه أيضا بشرى له، بشرى للناس في الحياة الدنيا عنك أو في حياته أو بعد مماته للناس بعده. الحالة الثالثة: هذه يراها شخص غير مستقيم؛ وهي أيضا نوع من أنواع البشرى، أن يكون الشخص غير المستقيم يرتكب منكراً ويرى رؤيا؛ أن تقيا من المشهورين بتقواهم فيأتي ينصحه بنصيحة ويستجيب هذا النائم الذي في حُكم الفاسق، فهذه بشرى للصلاح أنه من كثرة صلاحه وتقواه أنه أصبح واعظا حيا وميتا، في اليقظة والمنام.

〈 الفائدة السادسة عشر: التقوى سببٌ في عدم ضياع الأجر في الدنيا والآخرة.〉

- قال تعالى بعد أن مرَّ على يوسف عليه السلام بجمع شمله مع إخوته: ﴿إِنَّهُ مِنْ يَتَّقٍ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ

أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^١.

التقوى والصبر مع بعض اسمهم إحسان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، فسماهم محسنين، ما الفائدة؟ عدم ضياع الأجر، ماذا يعني؟ هل يمكن أن يضيع أجر أحد؟ لا، إذن لماذا أصبحت فائدة تخص التقوى؟ أن تعرف أن أي أحد من أهل الإسلام لو عمل عملا لن يضيعه الله، ما دليلك؟ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^٢؛ دليل واضح لكل الناس من يعمل مثقال ذرة خير يراه.

^١ يوسف: ٩٠.

^٢ الزلزلة: ٧.

• لماذا حُص هؤلاء المتقون بأنه لا يضيع أجرهم؟ بما أن كل الناس لا يضيع أجرهم فما الفائدة من تخصيصهم؟

أولاً لا بد أن تتصور أن هناك مفسدات للعمل؛ تسبب أن الإنسان يبذل جهوده ثم يضيع، المفسدات لما تدخل على عمل العبد وُصفت مثل الحديقة؛ التي تكون مُزهرة ثم يأتي إعصار فيه نار فيحرقها، هذا المثل في سورة البقرة يقول الله تعالى: ﴿أَيُّدٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ وهو ما حالته؟ ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ﴾ ماذا يحصل لها؟ ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾^١ لو قُدِّر أن أحدا سيموت حزنا سيموت هذا!

وهذا بالضبط مثل شخص بذل واجتهد وزرع، ثم أتى بالمبطلات فأفسد عمله، هناك مبطلات تفسد العمل، في سورة الإسراء الله تعالى يقول: ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَابِينَ غُفُورًا﴾^٢ وهذه الآية عظيمة تحتاج منك إلى فهم دقيق وهي نفس هذا الفهم هنا؛ إذا كنت صالحاً، إذا كنت تقياً، إذا كان منهجك في الحياة التقوى، إذا كنت كثير مجاهدة، إذا كنت كثير المجاهدة، وطاولات النقاش في داخلك دائمة سائرة، وحصل منك هفوة، حصل منك غلطة، حصل منك إفساد للعمل، كيف سيعاملك الله؟ ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَابِينَ غُفُورًا﴾، لن يجعل عملك يفسد بسبب هفوتك، سيعاملك باسمه الغفور الشكور، والذي لا يكون متقياً ستفسد أعماله؛ أتى بالمحبط فأحبط عمله.

إذن الذي يكون منهجه التقوى، وكثرت مجاهدته ومجادلته لنفسه، ومقاومته لهواه فيصبح صالح، فإذا أصبح صالحاً فإنه سبحانه وتعالى كان للأوابين غفورا، فأسرع توبة أسرع رجعة، ستكون سببا في إصلاح هذه الهفوة، ولهذا لا بد أن تفهم من بقي يجاهد لا يمكن أن يخذله الله، لا بد أن يسدده وينصره على نفسه وهواه، وعلى لذلك لا ينقطع جهادك أبداً، ما تيأس من روحه أبداً، لا تقول: أنا هذا الذنب لي ١٠ سنين أجاهد وأتقي الله وأدفعه ويرجع لي مرة أخرى! لا تقل هذا، جاهد واتقي الله وادفعه وإن عاد عيد إلى أن تموت، والله - عز وجل - يرى منك مجاهدة؛ لأن من يهاجر في سبيل الله لو مات قبل أن يصل فقد وقع أجره على الله.

تصور أنك مثل هذا الذي يهاجر فلا يصل، تجاهد فلا تصل، فقد وقع أجرك على الله، فقد وقع أجره على الله، المهم تموت وأنت لازلت تجاهد، إذا صدقت التوبة، فمن آثارها أن الله يحوها من عقول الخلق.

〈 الفائدة السابعة عشر: سبب لحصول الهداية.〉

إذا كنت متقياً اهتديت بالقرآن، ذكرنا المرة الماضية أن هناك ٤ درجات للعلم:

أوله: المعرفة، ثم: الفهم الدقيق، ثم: التطبيق، ثم: التعزيز.

^١ البقرة ٢٦٦.

^٢ الإسراء ٢٥.

التعزيز يصل لحد أن تدعو إليه، ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^١، أي منهم ستكون؟

كل الناس يشتركون في المعرفة، وهاهم يدرسون في المدارس ويعرفون كتاب التوحيد، لكن الفهم الدقيق الذي يسبب التطبيق هذا هو الهداية، الهدى نفسه درجات لكن مبدؤه ورأسه الفهم الدقيق.

ولذلك كثير من الناس تقول لهم: تعال أريد أن أشرح لك سورة الفاتحة. فيقول لك وما الفاتحة؟ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾^٢ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^٣، نعرف رحمة الله ونعرف يوم الدين! ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يعني نعبد الله، ﴿وَأِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ﴾^٤ يعني نقول يا رب أعنا، هذه مرحلة المعرفة، اليوم يشترك كل من يقرأ في مرحلة المعرفة، الزمن الماضي كان

التمايز يسير، انتشار القدرة على القراءة ليس دائما في صالح الناس، لو انتشر العلم بالمصطلحات الطبية، كل الناس

صاروا يعرفون المصطلحات الطبية.. فسيصبح كل الناس أطباء، وانظر ماذا يمكن أن يحدث حينها لو أصبحوا أطباء،

هذا بالضبط مثل طب القلب، كل الناس يتكلمون في الدين! وهذه المرحلة اسمها مرحلة المعرفة، يشترك فيها كل واحد

يعرف يقرأ، لكن متى تكون الهداية والفهم الدقيق؟ لما تكون أنت متقي يأتيك الفهم الدقيق.

أي: لا بد تبدأ المسألة بالمعرفة، لأننا اتفقنا أن العلم ركن من أركان التقوى، تعلم تعرف، لكن تعرف معرفة تريد منها

الصالح، لما تتعرف هذه المعرفة وتصبح تقيا، كلما زدت تقوى زاد فهمك الدقيق؛ ولهذا لا ترى أهل العلم الراسخين إلا

لامعين في عقلهم، ألمعي كما يعبرون، غاية في الذكاء، التقوى كانت رصيد له ليفهم فهما دقيقا؛ أول ما تطرح عليه

مسألة يعرف يرتبها في عقله ويأتي بأصولها، من الفهم الدقيق، وترى هؤلاء حكماء، والله ما يشيرون عليك برأي إلا يجعل

الله البركة في رأيهم.

في أحيان كثيرة يُسأل أهل العلم في الممرات وفي الحرم فيرد عليك رد، ويجب طالب العلم جوابا يصلح عليه أمر دينه

ودنياه، وكلها كلمة، لكن التقوى تأتي بالتوفيق، يكون الله معك، التقوى هذه بالتوفيق، والله ما تشير لأحد بإشارة إلا

يكون سببا لصلاحه في الدنيا والآخرة، افهم أن التقوى تسبب لك الهدى، ليس كل من سمع الدليل والقرآن اهتدى به،

أحيانا تأتي لمجموعة من الناس يقولون (نريد أن نتعلم) فتعطيهم المحاضرة والاثنين والثلاث والأربعة، ما يخرج من هؤلاء

كلهم إلا شخص واحد، هو ابتداء أصلا بالتقوى، يريد فيفتح الله عليه ويسبب له أسباب الاتصال بالطلب والعلم

والاستقامة من حيث لا يحتسب، لماذا؟ لأن في قلبه تقوى.

ليس كل من سمع العلم نفذ لقلبه، تحتاج التقوى من أجل أن تهتدي.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

انتهت لقاءات التقوى والله الحمد .

^١ البقرة: ٢.

^٢ الفاتحة: ٢-٣.

^٣ الفاتحة: ٥.

